Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 04، ديسمبر 2023، صص: 133- 148
تاريخ الاستلام(2022/07/07)تاريخ القبول (2023/02/18)تاريخ النشر (2023/12/31)

# الكتابة والكلام:
# الاتجاه الجاذب نحو المركز والاتجاه الطارد منه

# Writing and Speech:
# The Attractive Direction towards the Center and the Repulsive one away from it

**كاشر عبد الصمد**[1]، **شيتر رحيمة**[2]
[1] جامعة الحاج لخضر، باتنة1(الجزائر)، kacherabdessamad@gmail.com
[2] جامعة الحاج لخضر، باتنة1(الجزائر)، chiter.rahima@gmail.com

**ملخص**:
ما يبتغى من هذا البحث، هو تجسيد آثار الفكر التفكيكي في الدرس النقدي، من خلال الأفكار التي يطرحها، خاصة تلك المتعلقة بالتمركزات الميتافيزيقية العالقة في الفكر الغربي وتحديدا التمركز حول اللوغوس التمركز حول المنطوق. وعلى الطرح أعلاه تسلط هذه الورقة البحثية الضوء السائد في النص من خلال ما هو مركزي وما هو هامشي بين الكتابة والكلام، وكيف أمكن للكتابة في ظل أطروحات الفكر الدريدي أن تتحول إلى مركز من خلال ثلاثة عناصر رئيسة: الاتجاه الجاذب نحو المركز، الاتجاه الطارد من المركز، ميكانيزمات التفاعل بين الكتابة والكلام ولعبة الأدوار بين المركز والهامش.

**كلمات مفتاحية:** الكتابة؛ الكلام؛ المركز؛ الهامش؛ التفكيك.

**Summary:**:
The aim of this research is to embody the effects of deconstruction criticism through its ideas, especially those related to the outstanding metaphysical centralisations. In the Western thought, and precisely, the centralisation around the Logos and the centralization around the

المؤلف المرسل: كاشر عبد الصمد، الإيميل: kacherabdessamad@gmail.com

utterances. This researchpaper sheds light on the above proposition concerning what is central and what is marginal between writing and speaking; and how writing, in light of the theses of Derrida's thought, could turn into a centre through three main elements: the centrifugal direction, the mechanisms of interaction between writing and speaking, and speaking and the centre/margin role-playing.

**Keywords:** Writing; talk; Center; margin; disassembly

**1. مقدمة:**

من ثوابت الفلسفة القديمة وتقاليدها أنها تقوم على فكرة النسبية المطلقة، والصفة المتعالية، والنظرة الأحادية، وذلك نتاج تقديسها للمركز اللوغوس؛ بل هي أكثر إيمانا، واعتقادا، وثقة بالكلام المنطوق من الكلام المكتوب، فهو أساس المعرفة الحقيقية للغة، وأساس الفهم والمساءلة من الكتابة الغائبة وغير مفهومة، وما زاد هذا الإيمان اعتقادا وتثبيتا هو ممارسات المدرسة البنيوية ومناهجها وما وصفته عن الكتابة بأنها إحدى المظاهر الخادعة والمضللة في حق النص والمعرفة.

هذه الميتافيزيقيا العالقة في الفكر الغربي وعقله دفعت برواد المدرسة التفكيكية وعلى رأسها (جاك دريدا) إلى تفكيك التمركزات الميتافيزيقية التي انبنى علها تصور اللغة، تفكيك يتضمن اكتشاف التقابل الثنائي المهيمن على النصوص والخطابات- أيا كان نوعها- وتعريتها من هذا الفكر المتحجر وقلبه تماما؛ بحيث يصبح ما كان هامشا مركزا والعكس، وأن الخصائص التي تميز الكلام تنطبق أيضا على الكتابة، ومنه كان هذا المقال بعنوان: الكتابة والكلام: الاتجاه الطارد من المركزو الاتجاه الجاذب نحو المركز، للإجابة عن إشكالية رئيسة: ما هو الأثر المخلف عن تفكيك ما بعد البنيوية للنص والخطاب، وعن زعزعتها للمراكز المبجلة ولمفهومي الحضور والغياب التي تبنها اللغة خاصة التمركز حول المنطوق؟

**2.الاتجاه الجاذب نحو المركز:**

ما هو مسلم به في الدراسات النقدية أن النظرية التفكيكية هي فكر نقدي بالدرجة الأولى، وهو بالضبط ما اهتم به (جاك دريدا) مما أخبرتنا به كتبه من اهتمامه بتفكيك التمركزات، والتي كانت تشكل ما يعرف بالميتافيزيقا العالقة، هذه التمركزاتالتي كانت تصل درجة قداستها حد العبودية لا يجب أن تكون مهمشة ولا هامشا، بل لها الأفضلية والامتياز، وما سواها ثانوي ليس له حضور وإنما هو في تعداد الغياب.

ثنائية الحضور والغياب في الفكر الغربي القديم جعلت من الكلام مركزاو الكتابة هامشا، حتى أن للكلام قدسية ومثالية الصوت؛ بل إنه شرط معرفي إبستيمولوجي لقيام علوم اللغة، لكن المدرسة التفكيكية مع صاحبها (جاك دريدا) قام بزعزعة هذه المركزية، وجعل ما هو مركزي هامشي والعكس؛ أي: أنه قام بتفكيك التمركزاتالميتافيزقية التي انبني عليها التصور اللغوي، وأعطى للكتابة حق التمركز؛ بل الكتابة هي من تقوم بتسجيل الكلام وتحفظ وجوده من الزوال، والكتابة هي مقابلة الكلام، وأبعد وأكثر من ذلك هي تمثيل الكلام في حد ذاته، وهو ما اصطلح عليه في هذا البحث ب: الاتجاه الجاذب نحو المركز.

ولعل مفهوم الاتجاه في هذه الورقة البحثية هو العوامل والمتغيرات التي جعلت من الكتابة مركزا وحضورا، وهذا ما يقودنا حتما إلى استفسار حال الكتابة في أبعادها الزمنية والمكانية من حيث التطور، النشأة والظهور، ومراحل الاكتمال باعتبارها جزءا من الفكر الإنساني، ومن ثمة أمكن البحث والاستفسار عن مركزيتها وحضورها في الفكر التفكيكي، وفي الفكر الميتافيزيقي عن غيابها وهامشيتها.

**أ- نشأة الكتابة وتطورها:**

كثير من علماء اللغة ومن النقاد من جعل من الكتابة صورة ومركز الكلام، بل هي الوجود المادي للصوت أو الكلام المنطوق المتغير، وعلى هذا الطرح فإن الكتابة تعد قسيمة الصوت في الدراسة، لأنها رسم لما هو منطوق (الكلام) وإذا كان التحديد الدقيق لنشأة الكتابة لا يزال مجهولا حتى الآن، وكل ما أمكن معرفته أن تلك التمثيلات البدائية للرسومات على الصخور أو الأشجار أو ما يصطلح عليه علميا بالنحت دون تحديد كيفيات أطوارها وأدوارها، فهي من صنيع أهلها المحتاجين إليها بحسب الاحتياج والمعاملة في حياتهم، وإن كان هذا الكلام يقابل ما هو ضمني بأن الكتابة من صنع الله - وهذه المسألة وسنضرب عنها الذكر صفحا فليست من أولويات البحث- إلا أن هناك من الباحثين المختصين والمهتمين بهذا الفن من رصد ولو بصورة تقريبية مراحل الكتابة، وأطوارها، ومنطلقاتها، وإن لم نعد ذلك جوابا عن بداية الكتابة. ومن الذين تحدثوا عن نشأة الكتابة وتحسس مواطن البداية (جرجي زيدان) والذي رأى أن:" الكتابة مرت بأربعة أدوار حتى وصلت إلينا على ما هي عليه، وهذه الأدوار هي:

1- الدور الصوري الذاتي، وتدل فيه الصورة على المعاني الذاتية.

2- الدور الصوري الرمزي، وفيه فضلا عن الصور الذاتية، صور رمزية تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج.

3- الدور المقطعي، وتدل الصورة فيه أول مقطع من اسمها، وهو خطوة كبرى في اختراع الكتابة.

4- الدور الهجائي، وفيه تصبح تلك المقاطع حروفا، وهو آخر خطوة بلغت إليها الكتابة حتى الآن[1].

ومن الطبيعي أن لكل مرحلة ودور من الأدوار الأربعة ميزات وخصائص، فنص (جرجي زيدان) هذا بما فيه من حديث الأطوار والأدوار لمراحل الكتابة "ليس مقصورا على الكتابة العربية، وإنما هي أطوار وأدوار لمراحل كل الكتابة الإنسانية[2]، فالكتابة العربية كغيرها من الكتابات الإنسانية مرت بمراحل مجهولة النشأة والكيفية من حيث الأطوار والأدوار حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن.

وحسب علماء اللغة وأهل الاختصاص فإن للكتابة طريقتان رئيسيتان كما يوضحه الرسم التخطيطي التالي[3]:

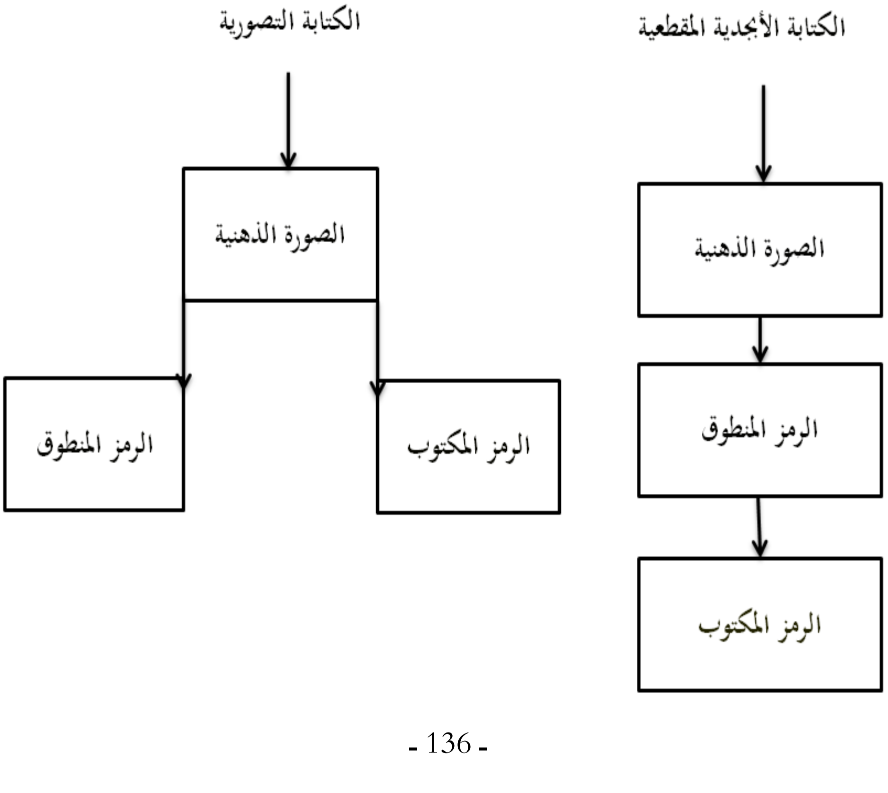

ولتوضيح هذا الرسم أو المخطط نقول: للكتابة طريقتان[4]:

**1- الطريقة الأولى:** التي تعبر عن الفكرة بصورة أو رمز وتسمى -pictognaphic ideognapttic أو logographic)، حيث لا توجد أي رابطة بين الأصوات المنطوقة والرموز المكتوبة؛ لأن تلك الرموز تشير مباشرة إلى صورة ذهنية، ومثال ذلك اللغة الصينية.

**2- أما الطريقة الثانية:**

فتعرف بالطريقة الأبجدية المقطعية (syllabic-alphabetic)، حيث تمثل الرموز المكتوبة أصوات اللغة المنطوقة؛ بل أن اللغة المتكلمة نفسها تعد سلسلة من الرموز التحكيمية لصور ذهنية والأمر كذلك ل (دي سوسير) فيرى أن للكتابة نظامان فقط هما[5]:

**1- النظام الصوري:** وفيه يعبر عن كل كلمة بإشارة واحدة لا علاقة لها بالأصوات التي تتألف منها الكلمة نفسها.

**2- النظام الصوتي:** وهو يعتمد بصورة أولى على المقطع أو الحرف؛ أي: العناصر الصغرى المستخدمة في الكلام. وبهذين النظامين تجنح الكتابة إلى إزاحة الكلام المنطوق من عقولنا، وهو ما أعطى ل(جاك دريدا) هذه الثورة على مركزية الكلام وهامشية الكتابة، وقام بتفكيك هذه التمركزات الميتافيزيقية التي أعطت للكلام وصوته أفضلية الامتياز على حساب الكتابة، حتى أصبح الكلام هو التصور اللغوي للغة، وإن لم يكن هناك صوت فليس هناك لغة.

والسبب أن الكلام هو عنصر حيوي قابل للتجديد والتطور ويعبر بصورة أفضل عن احتياجات الفرد ونوازعه، إنه الوسيلة التواصلية التبليغية الآنية، ولهذا قالوا في اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[6]، خصوصا أنه (الصوت) حامل لبعض الامتيازات التي تغيب عن الكتابة وتستبعدها من الدرس اللساني، وتكون حاضرة فيه والمقصود هنا هو الخصائص الفونولوجية للصوت، وبالضبط الوظائف الصوتية للنبر أو التغنيم، ولا يمكن لهاته الخصائص أن تتوفر بصورة أحسن وأدق إلا عن طريق النطق وهو ما سعى (دي سوسير) لإثباته في الدرس البنيوي، لكن المتبع سيجد أن (دي سوسير) يقر بالحاجة إلى اللغة المكتوبة، ويدعو بعدم إهمالها؛ بل يجب الإلمام بفوائدها، وعيوبها، ومخاطرها؛ لأن عالم اللغة يستخدم في دراسته للغة النصوص المكتوبة، "وتزداد الحاجة إلى استخدام الأدلة المكتوبة عند دراسة اللغات البعيدة عنا، ولاسيما اللغات التي لم يعد أحد يتكلم بها (اللغات البائدة)"[7]، فبالرغم أنها وحدة وهمية، إلا أنها تتمتع بمزايا وأفضليات، فهي تبدو

كأنها شيء ثابت مستقر، وهي بذلك أنسب من الصوت؛ ذلك بسبب أن أغلبية الناس ينتبهون إلى الصور المرئية أكثر من تنبههم إلى الصورة الصوتية، وراجع هذا الاعتقاد إلى الانطباعات المرئية التي تبدو أكثر وضوحا من الانطباعات السمعية. ومما يزيد من هذه الأهمية التي لا تستحقها الكتابة - في نظره - هي اللغة الأدبية التي كتبت بها المعاجم، وكتب النحو، إضافة إلى أهمية التدريس بها، فهي تكتسب الأهمية الأولى، فينسى الناس أنهم يتعلمون الكلام قبل تعلم الكتابة فينعكس التسلسل الطبيعي، وما يزيد الكتابة أهمية -وهي لا تستحقها حسب رأيه- أنه إذا وجد خلاف بين اللغة ونظام الكلام؛ فإنه يصعب حسم هذا الخلاف على عالم لغوي يهتم بما هو منطوق، فيجد نفسه لا يملك أية صلاحية، ومضطر في هذه المسألة أن يحسم النزاع لصالح الكتابة[8]، وهنا وجب الوقوف والتنبيه إلى نقطة هامة، والتي تعتبر إشكالية بالنسبة للكتابة، هل يمكن تعويض النبر والتنغيم بالكتابة ؟.

**ب- الكتابة قواعد:**

معلوم أن للكتابة مادتها، والتي هي الأصوات وقواعدها التي تضبطها وتجعلها تعبر عن نفسها أكثر، ويمكن أن تأخذ المركزية من الكلام، وذلك وفق قوانينها وقواعدها المسلمة بها في كل لغة فمثلا يمكن أن تعبر الكتابة أو تعوض خاصية النبرو التنغيم بآلية التنقيط أو علامات الترقيم هذه الخاصية المعطاة للكتابة تجعلها تنزاح عن الهامش وتأخذ المركز، وبذلك تنفي عن نفسها شبهة العجز عن تمثيل الأصوات، ومثال ذلك والمتداول في كتب النحو كثير مثال:

جملة: ما أحسن القراءة، صحيح أن لآلية التنغيم دورا وظيفي في تحديد معنى الجملة دون لبس باعتباره ظاهرة أدائية أكثر منه تميزية، لكن تبقى للكتابة خصوصيتها ومهامها في التعبير عن المعنى دون خلاف ولا تخالف من خلال خاصية علامات الترقيم، التي ليست ترفا كتابيا زائدا؛ "وإنما هي مكسب تاريخي مفيد للتواصل الإنساني وضرورة حتمية اقتضاها انتقال الإنسانية التدريجي من ثقافة الصوت والأذن إلى ثقافة العين والكتاب "[9] فيمكن أن نعرف إن كانت الجملة استفهامية، أو تعجبية أو تقريرية من خلال الحركات وعلامات الترقيم والتي تعد منبهات وملامح تميزية للكتابة عن الكلام:

1- ما أَحْسَنُ القراءةِ؟ ← استفهامية ← والذي بين لنا أنها استفهامية هو تشكيلها البصري من خلال علامة الاستفهام والحركات الإعرابية ( الضمة أواخر النون، والكسرة أواخر الميم).

2- ما أحسنَ القراءةَ! ←تعجبية← من خلال علامة التعجب والحركات الإعرابية أواخر الكلام.

3- ما أحسنَ القراءةُ. ← نافية ← ودليلها دون صوت هو علامات الترقيم الخاصة بها.

لذا وجب القول إن لكل مقام مقال، ولكل أداء خصوصياته يحفظ كيانه ووجوده.

والكتابة في عموم الاتفاق عن نشأتها، فإن منطلقها كان رسما بدائيا، جاء في شكل نقوش، وما الكتابة إلا قيد ورسم: "الكتابة والشكل بمعنى القيد والرسم خطو الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم"[10].

هذا النص (للعقاد)، وفيه يقيم العلاقة بين دلالة الرسم على الكتابة ودلالته على السير[11]، وأن أصلها رسم، كان بأدوات وآلات حادة على أجسام صلبة، وما يوضح أصل الكتابة أنها رسم قائله (العقاد) في كتابه "اللغة الشاعرة" قال فيه: "كان الكاتب القديم في عهود الكتابة الأولى قبل اختراع أبجدية يريد أن يكتب كلمة (يمشي) فيرسم على الصخر، أو الورق صورة إنسان يمشي على قدميه، ويبدو عليه أنه يتحرك في مشيته، ثم تطورت الكتابة فانتقلت الصورة إلى مقطع صوتي يؤخذ من الصورة، ويستخدم في الدلالة على الأصوات التي تشبهه، ثم انتقلت من المقطع الصوتي إلى حرف واحد، تجتمع منه حروف الأبجدية كلها، وهذه هي الكتابة في مرحلتها الأخيرة، فالباء هي الحرف الأول من كلمة (بيت) التي كانت ترسم على شكل بيت للدلالة على المبيت أو المساء"[12].

ولعل الذي جعل الكتابة تأخذ خاصية الغياب والهامش هي تلك الانخداعات الظاهرية[13] التي تكتسبها، باعتبار الكتابة لغة تميل إلى الجمود والتمسك بالتقاليد، وباتت الثقة في الأخذ بها دائما في حذر، وهو ما أعطى الكلام ثباتا وحضورا، ومركزية؛ لأن الكلام آني حضوري يعبر عن شخص غير غائب، يعبر عن انفعالاته واحتياجاته دون وساطة، وبمادة موثوقة وهي الأصوات، إلا أنه وجب أن يؤخذ في الاعتبار أن الصيغة المكتوبة للغة الكلام، وخصوصا إذا كانت اللغة واسعة الانتشار تقوم بدور هام في تعطيل تيار التغيير الذي يلحق لغة الكلام بسرعة، إن لغة الكلام إذا تركت وشأنها تكون عرضة لتغيرات طبيعية فطرية تبعدها عن المركز "[14]، وهو المعبر عنه في هذا البحث بـ:

### 3. الاتجاه الطارد من المركز:

يعتبر الصوت اللغوي الإنساني كلاما، وذلك عندما ما يعود إلى المرسل ويتحول المرسل إلى مستقبل، وهو ما يعرف بالحلقة الكلامية أو الدائرة الكلامية[15] متمثلة في عناصر أطلق عليها عناصر المنظومة الكلامية، والتي تتكون من متكلم: وما يحكمه من عقل، أعضاء نطق، سلسلة أعصاب، وسامع: ويتوفر فيه: الأذن، العقل، وسلسة الأعصاب[16].

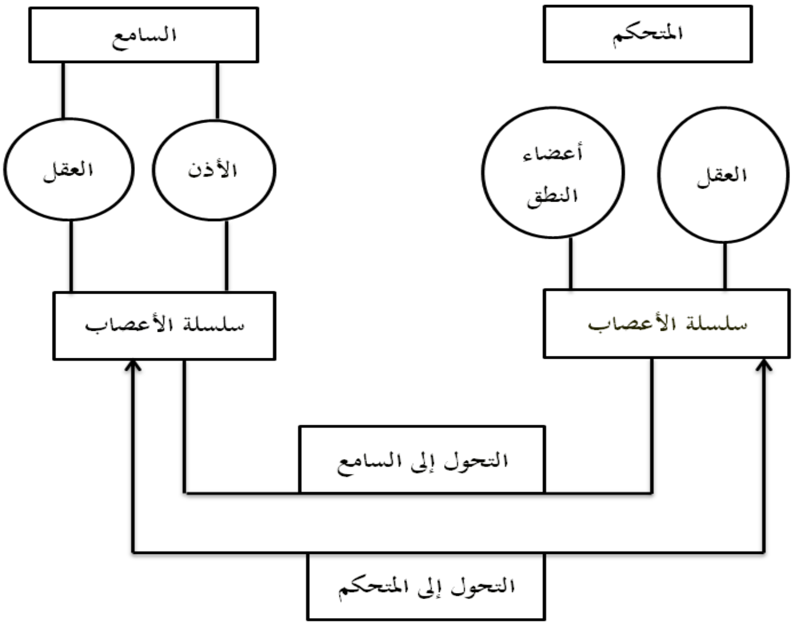


وإذا نظرنا في المخطط وجدنا الكلام هو ذلك الاتجاه الذي يحتوي على النزعة الميتافيزيقية، ويعطي اللغة الدور المركزي من خلال الصمت، أو التمركز حول الصمت بقداسة ومثالية، ويحتقر مادية الكتابة، وهو ما دفع أصحاب المدرسة إلى تفكيك مفهوم العلامة اللسانية عند (دي سويسر)، وتحرير اللغة بوجه خاص من الميتافيزيقيا العالقة بها، واعتبرت الكتابة صورة ومركز الكلام، فهي مقابلة له، وتقوم بتسجيله وحفظه من الزوال، وكأن التفكيك هو مقابلة اللغة ضد نفسها، الأمر الذي جعل من الهامش مركزا، ومن المركز هامشا، فالكلام ليس ذلك الصوت اللغوي الفصيح، وإنما حتى اللهجات تعتبر كلاما ولا يحفظ بقاءها إلا الكتابة، لأنها المادة الوحيدة الموثوق بها "إنها تحرك قوى مركزية جاذبة -ولو صناعية- تعادل القوى المركزية الطاردة الموجودة في اللغة"[17]، وحتى اتجاه الكلام وخاصة في صورته العامية الدارجة أو المتكلمة) اتجاه يبعده عن المركز؛ لأنه يميل إلى التغيير زمانا أو مكانا ولا يوقف تيار تغيره إلا الكتابة وعواملها الجاذبة نحو المركز.

والكتابة حسب (جاك دريدا) لم تعد تدل على دال لدال

" signifiant du"signifiant[18].

فقد بدأ يتجاوز اللغة ويفيض عنه, فحتى تعبير (دال الدال) قد كف عن الإدلال على الازدواج العرضي أو الثانوية المنحطة، وقيام الكتابة هو قيام اللعب "وها أن اللعب يعود إلى نفسه ماحيا الحد الذي كان يعتقد بإمكان تنظيم حركة العلامات انطلاقا منه، وجارا معه جميع المدلولات المطمنة، مطوحا بجميع الأماكن الحصينة، جميع ملاجئ (خارج اللعبة)"[19].

إذا فالتصور الغربي الميتافيزيقي للكتابة هو صورة ثانوية مساعدة للكلام باعتباره لغة تواصلية تامة بامتياز والدال الأول، والكتابة ما هي إلا دال لهذا الدال الأول.

ففلسفة مركزية العقل (logo centestique تمنح الكلام الأفضلية على الكتابة، فهي تعطيه امتيازا خاصا للكلمة المنطوقة، هذا راجع لمميزات الكلام على الكتابة، وفي الجدول الموالي نستعرض أهم الفوارق بين الكتابة والكلام المنطوق التي لاحظها (دي سوسير) وعلى أساسها استبعد الكتابة، ودعا إلى الاعتماد على النطق[20]:

| الكتابة Ecriture | النطق Pononciation |
|---|---|
| اصطناعية<br>عينة رمزية بديلة | طبيعي<br>عينة أصلية |
| تمثيلها للخطية ناقص وتقريبي<br>شهادتها خادعة | تمثيله للخطية حقيقي وتام<br>شهادته موضوعية صادقة |

فهو لغة يعتمد على "الاصطلاح والاتفاق الجماعي السابق بين أعضاء الجماعة اللغوية على المعنى أو المعاني المعينة التي تستدعيها أصوات خاصة"[21]، كما أنه يلتزم بخاصية الحضور، فأثناء الحديث وجب - بل هو إلزام - وجود متكلم ومستمع دون فاصل زماني أو مكاني، وهذا التفضيل - تفضيل الكلام على الكتابة - يراه (دريدا) صفة من صفات التمركز حول العقل، وهذا ما يسمى بالتمركز حول الصوت، فحاولت التفكيكية بنظريتها ومنهجها وعبر نقادها بخلخلة ميتافيزيقيا الحضور، والكشف عن تناقضاتها الداخلية، وذلك بقلب النظام الهرمي الذي أقامته - الميتافيزيقيا الغربية والانفتاح على الهوامش؛ لأن الكلام في نظر (دريدا)، بل حسب قوله قد "اختزله في مجرد وسيلة للنقل ( verkehsmittel ) وكأداة للتبادل والتواصل "[22].

هذه الهيمنة المركزية للصوت دفعته بتفكيكه، وقلبه وإعطاء المركزية للكتابة التي ستميت هذا الكلام،و بدورها ستنفتح على إمكانات واسعة للمعنى، وللتفسير، والتأويل.

ولا شك أن هذه الخلخلة ستفتح أيضا الأفق للخطاب الفلسفي والخطاب الأدبي، والذي لا يبقى قيد الصوت، بل ستنفتح المعاني والقراءات على السواد والبياض من الكتابة، والكلام المحذوف في هيئة نقاط متتالية، وكيفية كتابة الكلمات وتدويرها سواء بخط الآلة، أو الخط اليدوي الذي "هو مرتبط مباشرة بالكلام؛ أي على الأرجح بنظام الكتابة الصوتية"[23].

وعلى هذا الصنيع يضيع المركز (الصوت) ويحال إلى هامش أو أثر، وهكذا يتلاشى الأصل ويحل محله الغائب أو الهامش، وهو ما اصطلح عليه في البحث بـ"الاتجاه الطارد من المركز".

**3. ميكانيزمات التفاعل بين الكتابة والكلام، ولعبة الأدوار بين المركزوالهامش:**

قامت التفكيكية بثورة على المركز اللوغوسي، وأرادت أن تحرر الفكر من هذه الميتافيزيقيا العالقة في الفكر الإنساني الغربي وخصوصا القديم والذي يحيل إلى "أساس مكتف بذاته ولا يستند وجوده إلى شيء، ولا يحيل إلى شيء خارجه، وهو الأصل الذي يستند إليه كل شيء، وهو مصدر الوحدة والتناسق، والمعنى يتجاوز التفاصيل ويهرب من قبضة الصورة"[24]، إذا هو فكر محكوم بفلسفة الحضور، ومن ثم فلا بد من تقويضه[25]. وهو بالضبط ما عملت عليه التفكيكية في أول خطواتها بالتحرر من فكرة اللوغوس المركز؛ فلا وجود لشيء، أو موقع ثابت وأصل في ذاته؛ لأن لكل مرجع، أو موقع، أو نظرية تحول وتغير، ودوام الحال من المحال.

فهذا المركز الحاضر الثابت الآن أو اليوم، هو غائب متحول غدا، وهنا تكمن لعبة الأدوار بين المركز الثابت، والهامش المتحول، فما كان مركزا يمكن أن يصبح هامشا والعكس؛ وكل هذا إذا تحررنا من ميتافيزيقيا اللوغوس، وخصوصا في لغتها.

فاللغة في الميتافيزيقيا تتمركز حول المنطوق أو مركز الصوت الذي له أسبقية على المكتوب، ومرتبة أعلى من مرتبة الكتابة؛ لأنه سابق في الوجود "هذه المعادلة يجب قلبها، والقول بأسبقية الكتابة على الكلام، وأسبقيتهما - الكتابة والكلام - على المعنى؛ لأنه يوجد بهما، أما قبل ذلك فلا وجود له"[26].

والكتابة حسب المنهج التفكيكي تمثل عدمية الكلام (الصوت) وتقف ضد النطق، وهذا ليس تفضيلا لها؛ بل يعني أن الكتابة حاضرة في الكلام في بنيته وترتيبه، والتي تهدف إلى إحداث الأثر لا إلى توصيل المعاني الجاهزة، أو الكلمات المنطوقة[27].

الأثر الذي يشير ويمحو في نفس الوقت؛ أي: ما لا يكون حاضرا أبدا، إنها لعبة الأدوارو وميكانيزمات التفاعل بين الذات والموضوع، والحضور والغياب، هذا الأثر الذي لا يمحو الشيء؛ إنما يدل على بقاء جزء من هذا الشيء؛ بل هو إشارة للمتبقي.

وهي لعبة الاختلافات في الخطاب - مكتوبا أو منطوقا - تتضمن آثارا وتأجيلات تكرارية في وجود الشيء حاضرا في نفسه ولنفسه؛ بل ويحيل إلى نفسه "هكذا يكون الأثر قناة للارتباط بسابق النصوص والعلامات، وللتيه في علامات أخرى لاحقة في نشاط معمم للغرس والبعثرة، والتوليف الطباقي"[28].

لذا فإن الكتابة ستصبح هي المركز، والغاية، والثابت بعد أن كانت هامشا في ميتافيزيقيا اللوغوس، أو الفلسفة القديمة، والتفكيكية، بهذا الطرح لا تنكر الأطروحات، والأولويات، والبديهيات التي توجدها اللغة؛ إنما تفكر بوضعية جديدة للكلام، وبإخضاعه إلى أفكارها، وإلى بنية لا يعود هو مركزها وحاضرها، فالتفكيك حسب نقاده يقوم على خاصية تذويب الرواسب العالقة المتعاقبة في اللغة وتدميرها لا الهدم كلية.

فهذا (جاك دريدا) يعترف؛ بل هي واحدة من صحواته بأنه "لا سبيل إلى الاستغناء عن مفهومات الميتافيزيقيا، وإنه ليس بحوزتنا أية لغة، ولا أية منظومة تركيبية ومعجمية شأنها أن تكون غريبة عن هذا التاريخ، فكل نطق بنقض الميتافيزيقيا هو أصلا جزء منها، ومن هيئتها ومنطقها الأساسي[29].

إذا فالتفكيك قام على نقد المراكز، ليس للإعلاء من شأن الهامش، بل للبقاء بين الاثنين؛ لأن التفكيك وفكرة الهدم التي يقوم عليها ليس حبا في الهدم ذاته، بل نقضا للمراكز، وعليه يجب أن يقوض المركز لصالح الهامش؛ لأن الكتابة سابقة عن الكلام بنقوشها، وحفرياتها، وآثارها، والكلام سابق للمعنى "إنها تعادل في جدارتها أصل القيمة وصوت الوعي بما هو قانون إلهي، والقلب، والشعور ...الخ"[30].

فهي موصولة مباشرة بالصوت والنفس، فالكلام الأصلي هو كتابة، واعتبرها روبير أسكابي آلة من آلات اللغة لأنها ليست وسيطا ولا نظاما؛ بل هي التحام لغتين: اللغة المنطوقة ولغة الأثر"[31] لأنها محتواة دائما باعتبارها الشيء بالذات الواجب أن يحتوى:

داخل الطبيعة أو القانون الطبيعي، وباعتبارها أيضا منشط للذاكرة وقوة للنسيان[32]. فما يظهر عبر الكتابة وعبر خصائصها هي "مبدأ الموت والاختلاف في صيرورة الوجود؛ إما للكلام بمنزلة الصين لأروبا"[33].

وعطفا على ما سبق دعا (دريدا) في كثير من المرات إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز؛ لأن الكتابة قسيم الكلام في الدراسة، فالقراءة نطق، والكتابة رسم، وكل منطوق أمكن تحويله إلى مرسوم فهو كتابة، وكل مرسوم أمكن تحويله إلى منطوق فهو قراءة "[34].

وإن وجد هذا القالب للإرث الفلسفي وجب تفكيكه، وهدمه وتقويضه، والإقرار بعدم وجوده الفعلي؛ وإنما يبقى كما سبق - أثر أو وظيفة تعالج اللغة ونصوصها - خطابا أو فلسفة – باللاتمركز والتحديد، واللانغلاق نص الاختلاف وتعدد الدلالة بوصفه لعبة حرة تتفاعل فيها ميكانيزمات تبادل الأدوار بين الكتابة والكلام، وهذا الأخير ما هو إلا شكل من أشكال الكتابة، والمعنى الحقيقي في الكلام دائما مؤجل، فإذا كان هناك مركز فهناك أيضا الذي لا ينتمي إلى المركز أو الموجود في الهامش.

إن إقامة مركز بالضرورة يخلق بنية سليمة؛ ما في المركز أهم ما في الهامش، لأن هذه البنيات تستخدم دائما في شكل تقابلات ثنائية وظيفتها إعطاء النص بنية واستقرارا، وغالبا ما تعمل هذه التقابلات على هيئة أدوار بين خصائص الكتابة والكلام، فأحدهما مركز مفضل مبجل، والآخر قد يكون مركزا، وقد يكون هامشا، وليس بالضرورة أن تكون هذه الثنائيات على درجة عالية من التنافر والتضاد، بل يمكن أن تقدم تدفقا فائضا للمعني من طرف هذه الثنائيات أو التقابلات، فليس بالضرورة العلم ضد الجهل، فبالإمكان النظر إليها من زاوية أخرى، فالطرف الأول بحاجة إلى الطرف الثاني ليتوضح، إذا لم يكن هناك (جهل لا يمكن أن يكون هناك (علم)؛ لأننا لا ندرك على أنه (علم)، أكيد سنحصل على مفهوم مركزي واحد هو العلم - سيكون هو الشيء الوحيد المعروف في أذهاننا، لكننا لا ندركه أو نفهمه ك (علم)، وبالتالي لن يكون هناك مفهوم (للعلم)، ولا يوجد ما نسميه (علما)، ولذا كان وجود مفهوم (الجهل) هو الذي يخلق مفهوم (العلم).و من هذا التقابل ندرك أن الطرف الهامشي هو في حقيقة الأمر شرط للعلاقة التقابلية، وبالتالي هو على نفس قدر أهمية العلم المبجل، فالطرفان في كل تقابل يحددان بعضهما، وبهذا المفهوم التفكيكي نكون قد أزحنا الطرف المفضل المبجل من المركز، وأن كلا الطرفين موجود بفعل الاختلاف، لا بفعل التفضيل والتبجيل.

إنه الفكر الدريديالتفكيكي الذي يزعزع مكانة الكلام التبجيلية، والذي يقرر في حالات عديدة أنه الضروري ولا يمكن تجاهله أو الفرار منه؛ لأنه أداة يمكن أن نثق فيها إذا أردنا أن نفهم اللغة، وبالتالي نستطيع تحليل النصوص ونقدها، وهنا نجد ثنائيتي: (كتابة / كلام)، (مركز /هامش)، حضور / غياب) متداخلين متضمنين الواحد في الآخر.

**ما يمكن استخلاصه من هذا البحث:**

الفكر التفكيكي هو فكر نقدي بامتياز، وذلك راجع إلى منطلقاته الفلسفية التي بدأ منها، شأنه في ذلك شأن جميع الدراسات السابقة واللاحقة تصيب وتخطئ بسلبياتها وإيجابياتها، لكنه يبقى منهجاو فكرا إضافياإنضاف إلى الساحة اللغوية والنقدية خصوصا أنه عالج النصوص الخطابية، وأنه انفتح على المعنى ولم يبق أحادي الدلالة.

المدرسة التفكيكية بثورة نقادها وخاصة (جاك ديريدا) أعادت الاعتبار للكتابة والنص المكتوب، ولم يعد ذلك التحجر الميتافيزيقي الذي يعطي للكلام أو الصوت سلطة للنص أو الخطاب.

البداية الأولية لأفكار (جاك دريدا) حاولت أن تزيح الكلام من المركز الذي اتخذ من الفلسفات القديمة وميتافيزيقاتها، والأطروحات البنيوية التي اهتمت بالكلام المنطوق وأهملت الكتابة؛ إلا أنها أعادت الاعتبار للكلام، ورأت أن لا الكلام هامشي ولا الكتابة، ولا الكتابة مركزية ولا الكلام، لا الهامش يستطيع أن يتخلى عن المركز، ولا في مقدور المركز الاستغناء عن الهامش.

المتوصل إليه من الطرح كنهاية ما بين الفلسفات والخلفيات أن الكلام لا يمكن أن يكون مركزا ولا الكتابة هامشا لولا نقادها، والشأن كذلك للكتابة مع رواد الفكر التفكيكي، فالكل منطلق من فلسفات وخلفيات فكرية تصيب مرات، وتجانب الصواب مرات عدة، ولعل المبتغى هو إثراء الساحة النقدية بأفكار ومناهج متغيرة تحلل النصوص والخطابات ليكون في الأخير هذا النص متعدد المعنى ومنفتح الدلالة.

من هذه الوقفة، عند تداخل الكتابة والكلام بين المركز والهامش، أو ما تعارف عليه في هذا البحث: بالاتجاه الجاذب نحو المركز والاتجاه الطارد من المركز في الفكر النقدي، نقف دون إتمام البحث عن كل العوامل، والتوجهات، وحتى الخلفيات الفلسفية والفكرية حول مركزية الكتابة وهامشية الكلام أو العكس، ليبقى القول هل لمستزيد ليزيد، وهل لمضيف من إضافة.

## مراجع البحث وإحالاته:


1- جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1945، ص: 103.

2- مكي درار: المجمل في المباحث الصوتية من الأثار العربية، دار أم الكتاب ، مستغانم ، الجزائر، ط3، معدلة ،2014، ص: 89.

3- ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة، ط9، 2014، ص: 61.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 60.

5- دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز ، دار أفاق عربية ،بغداد، ط3، 1985،ص: 45.

6- ابن جني: الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2001، ص: 34.

7- دي سوسير: علم اللغة العام ، ص: 42.

8- ينظر: المرجع نفسه، ص:(43، 44).

9- العوني الستار: مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم، مجلة عالم الفكر ، الكويت، ع2، 1997، مج305/2، نقلا عن محمد صفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950-2004)، النادي الأدبي بالرياض - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط 1 ، 2008، ص: 199.

10- عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، مكتبة أنجلو المصرية ، مصر، ط1، 1960، ص: 42.

11- ينظر: مكي درار "المجمل في المباحث الصوتية"، ص:99.

12- المرجع السابق، ص: 38.

13- ماريو باي: أسس علم اللغة، ص: 61.

14- المرجع نفسه، ص: 61.

15- ينظر: مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، ط2، 2000، ص: 76.

16- المرجع نفسه، ص: 76.

17- ماريو باي: أسس علم اللغة، ص: 62.

18- جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط2، 2000، ص: 104.

19- المرجع نفسه، ص: 104.

20- الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية "دراسة تحليلية إبستيمولوجية"، مطبعة الرويغي ، الأغواط ، الجزائر، ط2، 2019، ص:129.

21- ماريو باي: أسس علم اللغة، ص: 40.

22- جاك دريدا: استراتيجية تفكيك الميتافيزيقيا (حول الجامعة، والسلطة، والعنف، والعقل، والجنون، والاختلاف، والترجمة واللغة)، تر: عز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق ، المغرب، دط، 2013، ص:219.

23- المرجع نفسه، ص220:.

24- علي حسين هذيلي: التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة - مقاربة نقدية - دار سطور ، العراق، ط1، 2018، ص: 57.

25- المرجع نفسه، ص :57.

26- علي حسين هذيلي: التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة، ص:58.

27- المرجع نفسه، ص: 59.

28- جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص: 25.

29- علي حسين هذيلي: التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة، ص: 71.

30- المرجع نفسه، ص:117 .

31- رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم، عنابة، دط، 2010، ص: 155.

32- ينظر: جاك دريدا، الكتابة والاختلاف ، ص: 119، 127.

33- المرجع نفسه، ص 128

34- مكي درار: المجمل في المباحث الصوتية، ص: 97.

## قائمة مراجع البحث:


- ✓ جاك دريدا: استراتيجية تفكيك الميتافيزيقيا (حول الجامعة، والسلطة، والعنف، والعقل، والجنون، والاختلاف، والترجمة واللغة)، تر: عز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق ، المغرب، دط، 2013.
- ✓ جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط2، 2000.
- ✓ جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1945.
- ✓ ابن جني: الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2001.
- ✓ دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز ، دار أفاق عربية ،بغداد، ط3، 1985.
- ✓ رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم، عنابة، دط، 2010.
- ✓ الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية "دراسة تحليلية إبستيمولوجية"، مطبعة الرويغي ، الأغواط، الجزائر، ط2، 92019
- ✓ عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، مكتبة أنجلو المصرية ، مصر، ط1، 1960.

- علي حسين هذيلي: التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة - مقاربة نقدية - دار سطور ، العراق، ط1، 2018.
- العوني الستار: مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم، مجلة عالم الفكر ، الكويت، ع2، 1997، مج305/2، نقلا عن محمد صفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950-2004)، النادي الأدبي بالرياض - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط 1 ، 2008.
- ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة، ط9، 2014.
- مكي درار: المجمل في المباحث الصوتية من الأثار العربية، دار أم الكتاب ، مستغانم ، الجزائر، ط3، معدلة،2014.
- مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، ط2، 2000.